

إدريس دبي وتحديات الولاية الرئاسية الخامسة

د. الحسين العلوي..

باحث وأكاديمي موريتاني



ملخص

يرى معظم المراقبين أن الولاية الرئاسية الخامسة التي يعترزم الرئيس التشادي إدريس دبي خوض غمارها، مغامرة غير مضمونة النتائج لاعتبارات عديدة؛ لا سيما أنها تأتي في وقت شهدت فيه بعض الدول الإفريقية رفضاً شعبياً للتمديد، أو تغيير الدستور حتى يُسمح للرئيس بالترشح من جديد، هذا الرفض الذي اتخذ مسارات رفض عنيفة؛ تجلت في مظاهرات عارمة أطاحت برئيس دولة بوركينا فاسو المجاورة للتشاد. الالتفت في عزم إدريس دبي على الترشح لولاية رئاسية خامسة في هذا التوقيت البالغ الدقة هو كونه يأتي بعد أن أضحت المعارضة السلمية لتكنوقراطيين التشاد في الخارج شبيهة موحدة حول نقطة أساسية؛ هي رفض ترشح الرئيس لولاية رئاسية خامسة بعد أن مكث ربع قرن في حكم تشاد، بعد أن كان الخوف دائماً من المعارضة المسلحة التي دأبت الجارتان ليبيا والسودان على احتضانها؛ ولعل أبرز التحديات التي ستواجه الرئيس دبي في حالة عزمه الترشح لولاية رئاسية خامسة هي:

المعارضة التنشادية السياسية والعسكرية في الداخل والخارج؛ التي تجتمع لأول مرة على رفض إدريس دبي لولاية رئاسية خامسة. العلاقة الفاترة مع فرنسا؛ التي حاصرت القصر الرئاسي بنجامينا سنة ٢٠٠٨ التحدي التنموي الذي ازداد سوءاً بعد اكتشاف النفط والبدء في تصديره منذ ٢٠٠٣، وتزايد معدلات البطالة، واستنزاف الفساد والمحسوبية. العلاقة المتوترة والمخالفة مع الجارتين ليبيا والسودان. الدور التشادي في الحرب على الإرهاب. النموذج البوركينابي وهاجس الربيع الإفريقي.

دولة تشاد

دولة تشاد التي تقع في وسط القارة الإفريقية شكلت - عبر تاريخها الطويل- جسراً للتواصل والتفاعل الحضاري بين العرب والأمازيغ والطوارق شمالاً، وحضارات حوض النيل شرقاً، وبين الحضارات الإفريقية المختلفة جنوباً وغرباً؛ مما جعل الشعب التشادي البالغ ١٣.٢١ مليون نسمة (حسب تعداد عام ٢٠١٤) يتكون من أكثر من ٢٠٠ مجموعة عرقية ولغوية مختلفة تتوزع على مساحة جغرافية تقدر بـ ١,٢٨ مليون كم² هي الخامسة إفريقياً، ودولة تشاد دولة حبيسة (أي لا سواحل لها على البحر) تحدها ليبيا شمالاً، والسودان من الشرق، والنيجر من الغرب، وجمهورية أفريقيا الوسطى من الجنوب؛ بينما يحدها كل من الكاميرون ونيجيريا من الجنوب الغربي.

الإسلام والمسيحية هما الديانتان الأكثر انتشاراً؛ حيث يتركز غالبية المسلمين في الشمال والوسط والجنوبيين؛ والنيجر من الجنوب، ولدولة تشاد لغتان رسميتان؛ هما الفرنسية، والعربية، فضلاً عن عشرات اللهجات المحلية التي تستعمل في مختلف أقاليم الدولة.

في الوقت الذي شكّل فيه التنوع العرقي واللغوي والموقع الجغوي سياسي المنهج للتشاد مكان قوة ومنعة؛ فكانها من تادوية أمور تاريخية مهمة ومضيقية في المقطع؛ إلا أنها بالمقابل جرت لثمة الجغرافيا على الدولة التنشادية منذ الاستقلال وحتى الآن، دون أن تتمكن الحكومات المتعاقبة - التي في معظمها حكومات عسكرية - جاءت إثر انقلابات متوالية من التصالح مع الذات التنشادية متعددة الأخرق واللغات، الشيء الذي عمل على إعادة إنتاج تشاد في متلاعبة عنيفة؛ وكأنه قدر سيزيفي لا فكاك منه، شأنها شأن معظم جاراتها في منطقة الساحل الإفريقي التي تتقاطع في كونها الأقصر عالمياً، وأن معدلات الفقر والبطالة والامية فيها هي الأعلى على مستوى العالم، فضلاً عن الانقلابات العسكرية العموية التي أصبحت سمة تلام دول المنطقة كالبصمة؛ كل هذا رمي بثقله على المؤسسات التنموية والبنية التحتية في دول الإقليم؛ مما جعل دول الساحل الإفريقي أحد أهم مصفري المهاجرين غير الشرعيين في العالم.

جلية الشمال والجنوبي

نظراً إلى وجود أغلب مدن تشاد في منطقة الجنوب تتواجد ٨٠% من مدارس الدولة، كانت نسبة التمدن بالجنوب عالية قياساً بشمال؛ الذي لا يتخطى إلا ١٠% من أقطابه بالمدارس، هذا الأمر جعل معظم رجال الأعمال من منطقة الجنوب حثيثي الآن؛ وهو الأمر الذي جعل معظم رجالات الدولة بعد الاستقلال بمن فيهم منصب رئيس الدولة من الجنوب المسيحي الأكثر تعليماً وتمكناً، واستحوذ الجنوب على النصيب الأكبر من النفوذ والسلطة؛ مما أدى إلى اندلاع حرب أهلية بين الشمال والجنوب بعد مرور ٥ سنوات فقط على الاستقلال؛ أي في عام ١٩٦٥، ولم تتوقف إلا في عام ١٩٧٩ لتعلن نهاية هيمنة الجنوب وسيطرة الشماليين على مقاليد الحكم تتجدد صراعات مسلحة دامية بين رقاء السلاح من الشماليين؛ جعلتهم يتناوبون على السلطة في انقلابات دموية؛ كان آخرها الانقلاب العسكري الذي أوصل الرئيس "إدريس دبي إيتو" إلى سدة الحكم في ديسمبر/كانون الأول ١٩٩٦ بمساعدة من الجارتين ليبيا والسودان.

الرحلة الانتقالية

استبشر الكثيرون من الشعب التشادي بتسلم "إدريس دبي" لحكم خلفاً لنسفة حسين جبيري؛ الذي استلم فترته بالشمولية والقسوة في قمع معارضيه، وتكريسه السلطة في فئة معينة استحوذت على نصيب الأسد من المال والنفوذ. بل إن بعضاً من المرشحين أوا فيها مرحلة انتقالية رين النظام الدكتاتوري والديمقراطية؛ لإسما بعد خطاب "إدريس دبي" الأول، الذي قال فيه قوله المشهورة: "تم أتيمك بذهب ولا فضل إنما جنتكم بالديمقراطية" (٢٠٠٧)، وعرفت تشاد سجلاً سياسياً خصباً لمؤسسات المجتمع المدني ولأحزاب السياسية الفاعلة في تشاد دام ٦ سنوات، تمخض عنه إقرار دستور ١٩٩٦ في استفتاء شعبي، هذا الدستور الذي نص على أنه يجب للرئيس الترشح لفترةين رئاسيتين فقط مدة كل منهما خمس سنوات:

والتمتية (PLD) والمجمع الوطني للديمقراطية والتقدم (RNDP) والاتحاد الديمقراطي الجمهوري (UDR) ومن المنظمات التي لا يعترف بها النظام التنشادي: المجلس الديمقراطي الثوري (CDR) جبهة تشاد للتحرير الوطني (FROL - INAT)؛ التي تتركز في الجزائر، وجبهة تشاد الوطنية (FNT) التي تتركز في السودان، وحركة الديمقراطية للتنمية (MDD) وجيش المقاومة ضد القوات المناهضة للديمقراطية (RAFAD) ويتركز في شمال نيجيريا، واتحاد القوى الديمقراطية (UFD) منذ أواخر عام ٢٠٠٣ شهدت تشاد فرار أعداد كبيرة من الجيش لتشادي، شملت ضباطاً من ذوي الرتب العالية، وسرعان ما تكونت جبهة عريضة من الفصائل والحركات المسلحة المعارضة لحكم إدريس دبي؛ أبرزها الجبهة المتحدة من أجل التغيير الديمقراطي (FUC)؛ التي كانت بقيادة السيد محمد نور عبد الكريم، وحركة اسكود (SCOD) بقيادة السيد تيمان أرديس، والقوات التي يقودها السيد أسكر طومبي، واستطاعت هذه الجبهة تحاصر القصر الرئاسي في العاصمة نجامينا يوم ١٣ إبريل/نيسان ٢٠٠٦، ولولا استماتة القوات الموالية لدبي من جهة، والمناورات السياسية التي قام بها إدريس دبي، ودور اللقائي في شراء دمج المناوين وشق تلك الجبهة؛ نجحت تلك المحاولة في إسقاط حكمه.

وبعد ذلك تكررت جبهة أخرى تسمى باتحاد القوى من أجل الديمقراطية والتنمية (UFD)؛ التي يترجمها السيد محمد نوري، وشملت هي الأخرى في الوصول إلى سدة الحكم في تشاد بعد أن سيطرت قواتها على أجزاء كبيرة من العاصمة العام ٢٠٠٨، وكادت سُحق الفظاظ، وكان لفرنسا هذه المرة الدور الأبرز في إفشال هذه المحاولة، ودحر القوات المناهضة لدبي.

ثم كان اجتماع فصائل المعارضة التنشادية في الداخل أيام ١٦ و١٧ و١٨ من يناير/كانون الثاني ٢٠١٥ في نجامينا الشمالية؛ حيث كانت ليبيا منذ عام ١٩٧١ حاضرة بقوة في المشهد العام في تشاد؛ وذلك عبر دعم وتسلح القبائل الشمالية في تشاد؛ التي في معظمها قبائل عربية تشكل امتداداً لقبائل عربية في دول الجوار الجنوبي الشمالي وتحديداً ليبيا، فمن المعروف أن معظم قبائل الجنوب الليبي (زوية - أولاد سليمان - الحسانو - القاذفة - التبو ويبرجة أقل ورقة والمقارحة) هاجروا بشكل جماعي إلى شمال تشاد إبان الغزو الإيطالي لليبيا، واندمجوا هناك مع القبائل التنشادية، وتعايشوا معهم، ورجعت مجموعات كبيرة منهم إلى ليبيا منذ الاستقلال حتى أواسط سبعينات القرن المنصرم، كما أن قبائل التبو توجد أراضيها التاريخية في الشمال الشمالي والجنوب الليبي، ودون الدخول في تفاصيل الحرب الليبية التنشادية، التي باتت معروفة للجميع، فقد حرص القذافي على جعل تشاد جزءاً من مخططاته للتوسيع جنوباً في القارة الإفريقية، وعلمنا مني جيشه بهزيمة نكراء في منتصف ثمانينات القرن المنصرم، وأسرك الكثيرون من الجيش الليبي بمن فيهم قائد تلك الحملة "الفريق خليفة حفتر"؛ الذي يقود حالياً قوات الجيش الوطني الليبي في حربيه ضد ميليشيات أنصار الشرعية في بنغازي؛ فيما يعرف بعملية "الكراامة"؛ إثر تلك الهزيمة للنكراء قرر القذافي تغيير استراتيجيته في التعامل مع تشاد، وتجا إلى قوة المال السياسي عوضاً عن القوة العسكرية، وفي هذا السياق تحقق له النفوذ والامتداد إفريقياً عبر الولاية التنشادية، وباتباع سياسة شراء الدم، ولا سيما بعد أن أوصل إدريس دبي إلى سدة الحكم بمساعدة الجارة السودان.

بعد سقوط نظام القذافي قام حكام ليبيا الجدد (الذين يرون أن إدريس دبي ظل حتى آخر لحظة وفيها للقذافي؛ بل إنهم يشيعون أنه دعمه بمرزقة ومقاتلين تشاديين) بإطلاق

في الجنوب كان "تجاريجي بورونجار" من حركة الاتحاد من أجل الجمهورية أقوى منافسي "إدريس دبي"، وفاز دبي من الجولة الأولى بعد حصوله على ٧٣,٣٥% من الأصوات، وتلاه "تجاريجي بورونجار" بـ ٢٣,٩% من جملة أصوات الناخبين.

الولاية الرئاسية الثالثة: استطاع "إدريس دبي" إجراء استفتاء حول تعديل المادة (٦١)؛ التي تحول دون ترشح (الرئيس الحالي) إدريس دبي لمدة رئاسية ثانية؛ وبهذا ضمن ترشحه إلى عدد غير محدد من الولايات، بعد أن كانت تلك المادة تكفي الرئيس بولايتين غير قابلتين للتجديد. وقد قوبل ذلك التعديل بموجة رفض عارمة من المعارضة التنشادية؛ التي قاطعت انتخابات ٢٠٠٦ خصوصاً فييرالية العمل من أجل الجمهورية، وتنسيقية الدفاع عن التحالف، التي تضم ٢٠ حزماً، وعلى الرغم من ذلك أجريت الانتخابات، وفاز دبي بولاية رئاسية ثانية بنسبة ٦٤,٧% دون وجود منافسة حقيقية، ووسط تزايد التوتر مع الجارة السودان، وارتفاع معدلات البطالة، التي غلت تمرداً متنامياً تجسدت في فرار العديد من أفراد الجيش التشادي؛ التي احتضنتها الجبهة المتحدة من أجل الديمقراطية السياسية للتغيير المسلح، والأخطر من ذلك محاولة الانقلاب في ١٤ من مارس/آذار ٢٠٠٦؛ التي تم إحباطها على أيدي أفراد من الجيش المواليين لدبي. الولاية الرئاسية الرابعة: مع تزايد حدة الاحتقان الداخلي، وإعادة تشكيل المعارضة التنشادية لتصفوها للاستفادة من النزاع الذي حصل في شمال دول القارة، وتساعد تيرة العمليات العسكرية ضد "القذافي" الحليف الاستراتيجي لإدريس دبي، جرت الانتخابات الرئاسية في ٢٥ من إبريل/نيسان ٢٠١١ بعد تأجيلها لثلاثة أسابيع، والافتتحت هذا أن ثلاثة من أهم زعماء المعارضة؛ وهم: "عبد القادر دو كاموغي"، و"تجاريجي بورونجار"، و"صالح كزايو"، أعلنوا انسحابهم من سباق الرئاسة؛ بسبب ما وصفوه بـ "المسرحية السياسية"، وحتوا المواطنين على مقاطعة الانتخابات (٣)، وكما توقع المرء أن فوز دبي من الجولة الأولى بنسبة كبيرة يثبت (٦٦% وسط نسبة إقبال متدنية من المقتدر عين الولاية الرئاسية الخامسة: بعد إعلان ديوان الرئاسة التشادية لولاية إدريس دبي للترشح لولاية رئاسية خامسة هذا العام (٢٠١٥)، رأى المرء أنها خطوة محفوفة بالمخاطر. والتحديات في توقيت بالغ الدقة في منطقة الساحل الإفريقي وفي الداخل التشادي، خطوة سيواجه فيها دبي تحديات كبرى قد تتجاوز ما عرّف عنه من حكمة ودهاء في التعاطي مع المستجدات والمخاطر؛ لعل أبرزها:

المعارضة التنشادية السياسية والعسكرية في الداخل والخارج؛ التي تجتمع لأول مرة على رفض إدريس دبي لولاية رئاسية خامسة. العلاقة الفاترة مع فرنسا؛ التي حاصرت القصر الرئاسي بنجامينا سنة ٢٠٠٨ التحدي التنموي الذي ازداد سوءاً بعد اكتشاف النفط والبدء في تصديره منذ ٢٠٠٣، وتزايد معدلات البطالة، واستنزاف الفساد والمحسوبية. العلاقة المتوترة والمخالفة مع الجارتين ليبيا والسودان. الدور التشادي في الحرب على الإرهاب. النموذج البوركينابي وهاجس الربيع الإفريقي.

العلاقات الفاترة مع فرنسا

ظلت تشاد جزءاً أصيلاً ومهماً في الإستراتيجية الدفاعية والعسكرية الفرنسية في وسط القارة الإفريقية منذ الاستقلال وحتى وصول الرئيس فرانسوا هولاند إلى قصر الإليزيه؛ لذي أحدث تغييرات جوهرية عويصة بخصوص علاقات فرنسا بالأنظمة الإفريقية؛ التي لا تزال ثقة شعوبها؛ (إن قادة الإدارة الاستراكية الجديدة يسمو أنهم قرروا المقاطعة السياسية، وهك الارتباط السياسي مع بعض رؤساء لدول الإفريقية؛ الذين أصبحوا علة على السياسة الفرنسية في إفريقيا؛ لا سيما مع قادة أنظمة دول إفريقيا لا تتوافق لديها أدنى شروط الحكم الرشيد والديمقراطية والعدالة واحترام حقوق الإنسان في بلادها، وفي خلال حملته الانتخابية تعهد هولاند بعدم التعامل مع أنظمة دكتاتورية لا تحترم شعوبها، ولا تتسرع في إصلاحات واضحة على الأرض، وقرر أيضاً صراحة أنه سيقاطع البرنامج الفرنسي القديم بسبب سيئ السمعة: (FranceAfric)، ويعتبر هذا البرنامج جزءاً من شبكة كبيرة وقديمة ومعقدة تضم أفارقة وفرنسيين من الساسة والمثقفين ورجال الأعمال والاستخبارات والعسكريين؛ الذين يقومون بوضع خطوط مستقبل أي حاكم إفريقي وتحديد علاقته مع باريس، وهي تتحكم في مصير حكام القارة الإفريقية؛ الذين تدعمهم فرنسا في المجال

السياسي والمالي، وتثبيت أركان الحكم في بلادهم... (٤)؛ إلغاء الإيزيه لزيارة التهنتة التي كان يعترزم الرئيس إدريس دبي القيام بها إلى باريس مطلع عام ٢٠١٣ تهنتة الرئيس الجديد، والرفض غير مرة لتلك الزيارة، التي كان يعول عليها دبي كثيراً؛ جعل العلاقة تتدهور بين باريس ونجامينا مع حرص الطرفين على الإبقاء على خيوط من بقايا علاقة فاترة؛ إلا أن الحرب على الإرهاب في شمال مالي - التي قادتها فرنسا سرعان ما أعادت الدفع إلى العلاقة بين باريس ونجامينا؛ حيث شاركت القوات التنشادية بفاعلية في عملية "القط المتوحش - سيرفال"؛ التي قادتها فرنسا.

التحدي التنموي واستنزاف الفساد والمحسوبية من أهم التحديات التي تواجه الرئيس دبي؛ الذي لم يستطع أن يقدم فيها إنجازات مقنعة للتشاد التنشادي أو للمستثمرين الأجانب؛ ولا سيما بعد اكتشاف النفط والبدء في تصديره بكميات تجارية منذ عام ٢٠٠٣، والغريب أن أول مبلغ من عائدات النفط تسلّمته الحكومة في تشاد تم توجيهه لشراء أسلحة بمبلغ ٤,٥ ملايين دولار (٥)؛ وعلى الرغم من امتلاك تشاد لمخزونات كبيرة من الذهب والحديد واليورانيوم والزنك والرصاص، فإن اللافق أن الدولة لم تستفد منها حتى الآن. وما زالت تشاد تحت مرتبة متدنية في مؤشر التنمية البشرية فمن بين ١٧٧ دولة ضمنها المؤشر أنت في المرتبة ١٦٧)، وتعتبر من الدول منخفضة الدخل، وترتفع فيها معدلات البطالة والفقر، وتعاين من تدني الخدمات الصحية والتعليمية، ويعيش حوالي ٨,٤% من السكان تحت خط الفقر!

العلاقة المتوترة مع الجارتين ليبيا والسودان
العلاقة مع ليبيا

نالت تشاد نصيب الأسد من مغامرات القذافي وطموحاته القارية والإقليمية في تادية دور يتجاوز قدرات الدولة الليبية؛ حيث كانت ليبيا منذ عام ١٩٧١ حاضرة بقوة في المشهد العام في تشاد؛ وذلك عبر دعم وتسلح القبائل الشمالية في تشاد؛ التي في معظمها قبائل عربية تشكل امتداداً لقبائل عربية في دول الجوار الجنوبي الشمالي وتحديداً ليبيا، فمن المعروف أن معظم قبائل الجنوب الليبي (زوية - أولاد سليمان - الحسانو - القاذفة - التبو ويبرجة أقل ورقة والمقارحة) هاجروا بشكل جماعي إلى شمال تشاد إبان الغزو الإيطالي لليبيا، واندمجوا هناك مع القبائل التنشادية، وتعايشوا معهم، ورجعت مجموعات كبيرة منهم إلى ليبيا منذ الاستقلال حتى أواسط سبعينات القرن المنصرم، كما أن قبائل التبو توجد أراضيها التاريخية في الشمال الشمالي والجنوب الليبي، ودون الدخول في تفاصيل الحرب الليبية التنشادية، التي باتت معروفة للجميع، فقد حرص القذافي على جعل تشاد جزءاً من مخططاته للتوسيع جنوباً في القارة الإفريقية، وعلمنا مني جيشه بهزيمة نكراء في منتصف ثمانينات القرن المنصرم، وأسرك الكثيرون من الجيش الليبي بمن فيهم قائد تلك الحملة "الفريق خليفة حفتر"؛ الذي يقود حالياً قوات الجيش الوطني الليبي في حربيه ضد ميليشيات أنصار الشرعية في بنغازي؛ فيما يعرف بعملية "الكراامة"؛ إثر تلك الهزيمة للنكراء قرر القذافي تغيير استراتيجيته في التعامل مع تشاد، وتجا إلى قوة المال السياسي عوضاً عن القوة العسكرية، وفي هذا السياق تحقق له النفوذ والامتداد إفريقياً عبر الولاية التنشادية، وباتباع سياسة شراء الدم، ولا سيما بعد أن أوصل إدريس دبي إلى سدة الحكم بمساعدة الجارة السودان.

بعد سقوط نظام القذافي قام حكام ليبيا الجدد (الذين يرون أن إدريس دبي ظل حتى آخر لحظة وفيها للقذافي؛ بل إنهم يشيعون أنه دعمه بمرزقة ومقاتلين تشاديين) بإطلاق



سراح العقيد اللاشي مهدي، الضابط التشادي (من قبيلة التبو)؛ الذي قضى ٢١ سنة في سجون القذافي، ودعوه مادياً وعسكرياً ليقيم بتشكيل فصائل تشادي مسلح في مدينة القطنون الليبية، ويستعد في أية لحظة للتحاق بالفصائل التنشادية المسلحة في السودان لهجوم على نجامينا، كما استغلت فصائل مقاتلة تشادية معظمها من التبو حالة فوضى السلاح والافلات الأمني في ليبيا لتكوين معسكرات لها في المنطقة الحدودية بين البلدين، والسيطرة على تجارة التهريب ومسارات الهجرة غير الشرعية القادمة من منطقتي القرن الإفريقي ودول الساحل، والتسسيق مع المنظمات الجهادية بالمنطقة؛ ولا سيما تنظيمي المرابطين والقاعدة ببلاد المغرب الإسلامي.

العلاقة مع السودان

بحكم كون إدريس دبي من قبيلة الزغاوة التي تعيش في شرق تشاد وغرب السودان؛ فقد كان له دور فاعل في دعم المعارضة السودانية بدارفور؛ التي ألققت الخروم، وظلت العلاقة متوترة مع الجارة الشرقية إلى أن تمت المصالحة بينهما في سرت من قبيل القذافي، ودام شهر العسل بين نجامينا والخروم ٥ سببونات، يعود التوتر من جديد؛ ولا سيما بعد تسريب وثيقة سرية في أواخر عام ٢٠١٣ عن وزارة الدفاع السودانية تثبت تورط الخرطوم في تدريب واحتضان المعارضة المسلحة التنشادية في معسكرات تدريب على أراضيها (٦).

الدور التشادي في الحرب على الإرهاب

بعد أن اطمئن إدريس دبي الذي نجح من محاولتين انقلابيتين كادتتا تطيحان به في عامي ٢٠٠٦ و٢٠٠٨؛ ولأن معظم المحاولات العسكرية كانت تأتي من الجارتين ليبيا والسودان؛ فقد حرص دبي على خطاب ودّها من خلال العلاقة الوطيدة والمميزة مع طرابلس، كذا عبر زواجه من سودانية من بيت من عيان البلد، وجعل سقوط الحليف القذافي إدريس دبي يتطلع على لعب دور إقليمي كان يظني عليه سطوة القذافي وحضوره في الشأن الإفريقي؛ لذا كانت مشاركته في التدخل العسكري مع القوات الفرنسية في جمهورية أفريقيا الوسطى، وتاليا إرسال قوات لخنبة التنشادية التي شاركت بفاعلية أشاد بها الجميع في عملية "سيرفال"؛ إلا أن توسيع عمليات الجيش التشادي لمحاربة قول الجهاديين في النيجر، وكذا المحاربة "بوكو حرام" في الكاميرون ونيجيريا (التي تمتلك أقوى جيش في إفريقيا) قد أفصحت بقوة عن تطلع تشاد إلى تادية دور إقليمي بارز في الحرب على الإرهاب، وفي هذا السياق كانت مبادرته بالوقوف خلف نواكشوط في إنشاء "مجموعة ٥ الساحل"؛ التي تريد العاصمتان أن تكون الوجهة الإفريقية لمحاربة الجهاديين في منطقة الساحل، وفي عام ٢٠١٣ قام إدريس دبي بتوجيه نداء ملح لحلف شمال الأطلسي ليكمل ما بدأه ليبيا قبل ثلاث سنوات، وعز هذه الدعوة بتحالفه مع قائد عملية "الكرامة" في ليبيا الفريق خليفة حفتر، كما قام في مارس/آذار الماضي بوضع ١٢٠ جندي تشادي تحت تصرف القيادة المشتركة للدول الإفريقية وحلف شمال الأطلسي في الحرب على الإرهاب ضد الحركات الجهادية؛ والتي كل هذا بعد أن أرست القوات الفرنسية في نجامينا قسداً على "الشمال" التي تتحكم في العمليات التي تستهدف منطقة الساحل الإفريقي والصحراء (٧).

التحدي التنموي واستنزاف الفساد والمحسوبية من أهم التحديات التي تواجه الرئيس دبي؛ الذي لم يستطع أن يقدم فيها إنجازات مقنعة للتشاد التنشادي أو للمستثمرين الأجانب؛ ولا سيما بعد اكتشاف النفط والبدء في تصديره بكميات تجارية منذ عام ٢٠٠٣، والغريب أن أول مبلغ من عائدات النفط تسلّمته الحكومة في تشاد تم توجيهه لشراء أسلحة بمبلغ ٤,٥ ملايين دولار (٥)؛ وعلى الرغم من امتلاك تشاد لمخزونات كبيرة من الذهب والحديد واليورانيوم والزنك والرصاص، فإن اللافق أن الدولة لم تستفد منها حتى الآن. وما زالت تشاد تحت مرتبة متدنية في مؤشر التنمية البشرية فمن بين ١٧٧ دولة ضمنها المؤشر أنت في المرتبة ١٦٧)، وتعتبر من الدول منخفضة الدخل، وترتفع فيها معدلات البطالة والفقر، وتعاين من تدني الخدمات الصحية والتعليمية، ويعيش حوالي ٨,٤% من السكان تحت خط الفقر!

العلاقة المتوترة مع الجارتين ليبيا والسودان
العلاقة مع ليبيا

نالت تشاد نصيب الأسد من مغامرات القذافي وطموحاته القارية والإقليمية في تادية دور يتجاوز قدرات الدولة الليبية؛ حيث كانت ليبيا منذ عام ١٩٧١ حاضرة بقوة في المشهد العام في تشاد؛ وذلك عبر دعم وتسلح القبائل الشمالية في تشاد؛ التي في معظمها قبائل عربية تشكل امتداداً لقبائل عربية في دول الجوار الجنوبي الشمالي وتحديداً ليبيا، فمن المعروف أن معظم قبائل الجنوب الليبي (زوية - أولاد سليمان - الحسانو - القاذفة - التبو ويبرجة أقل ورقة والمقارحة) هاجروا بشكل جماعي إلى شمال تشاد إبان الغزو الإيطالي لليبيا، واندمجوا هناك مع القبائل التنشادية، وتعايشوا معهم، ورجعت مجموعات كبيرة منهم إلى ليبيا منذ الاستقلال حتى أواسط سبعينات القرن المنصرم، كما أن قبائل التبو توجد أراضيها التاريخية في الشمال الشمالي والجنوب الليبي، ودون الدخول في تفاصيل الحرب الليبية التنشادية، التي باتت معروفة للجميع، فقد حرص القذافي على جعل تشاد جزءاً من مخططاته للتوسيع جنوباً في القارة الإفريقية، وعلمنا مني جيشه بهزيمة نكراء في منتصف ثمانينات القرن المنصرم، وأسرك الكثيرون من الجيش الليبي بمن فيهم قائد تلك الحملة "الفريق خليفة حفتر"؛ الذي يقود حالياً قوات الجيش الوطني الليبي في حربيه ضد ميليشيات أنصار الشرعية في بنغازي؛ فيما يعرف بعملية "الكراامة"؛ إثر تلك الهزيمة للنكراء قرر القذافي تغيير استراتيجيته في التعامل مع تشاد، وتجا إلى قوة المال السياسي عوضاً عن القوة العسكرية، وفي هذا السياق تحقق له النفوذ والامتداد إفريقياً عبر الولاية التنشادية، وباتباع سياسة شراء الدم، ولا سيما بعد أن أوصل إدريس دبي إلى سدة الحكم بمساعدة الجارة السودان.

بعد سقوط نظام القذافي قام حكام ليبيا الجدد (الذين يرون أن إدريس دبي ظل حتى آخر لحظة وفيها للقذافي؛ بل إنهم يشيعون أنه دعمه بمرزقة ومقاتلين تشاديين) بإطلاق

في الجنوب كان "تجاريجي بورونجار" من حركة الاتحاد من أجل الجمهورية أقوى منافسي "إدريس دبي"، وفاز دبي من الجولة الأولى بعد حصوله على ٧٣,٣٥% من الأصوات، وتلاه "تجاريجي بورونجار" بـ ٢٣,٩% من جملة أصوات الناخبين.

الولاية الرئاسية الثالثة: استطاع "إدريس دبي" إجراء استفتاء حول تعديل المادة (٦١)؛ التي تحول دون ترشح (الرئيس الحالي) إدريس دبي لمدة رئاسية ثانية؛ وبهذا ضمن ترشحه إلى عدد غير محدد من الولايات، بعد أن كانت تلك المادة تكفي الرئيس بولايتين غير قابلتين للتجديد. وقد قوبل ذلك التعديل بموجة رفض عارمة من المعارضة التنشادية؛ التي قاطعت انتخابات ٢٠٠٦ خصوصاً فييرالية العمل من أجل الجمهورية، وتنسيقية الدفاع عن التحالف، التي تضم ٢٠ حزماً، وعلى الرغم من ذلك أجريت الانتخابات، وفاز دبي بولاية رئاسية ثانية بنسبة ٦٤,٧% دون وجود منافسة حقيقية، ووسط تزايد التوتر مع الجارة السودان، وارتفاع معدلات البطالة، التي غلت تمرداً متنامياً تجسدت في فرار العديد من أفراد الجيش التشادي؛ التي احتضنتها الجبهة المتحدة من أجل الديمقراطية السياسية للتغيير المسلح، والأخطر من ذلك محاولة الانقلاب في ١٤ من مارس/آذار ٢٠٠٦؛ التي تم إحباطها على أيدي أفراد من الجيش المواليين لدبي. الولاية الرئاسية الرابعة: مع تزايد حدة الاحتقان الداخلي، وإعادة تشكيل المعارضة التنشادية لتصفوها للاستفادة من النزاع الذي حصل في شمال دول القارة، وتساعد تيرة العمليات العسكرية ضد "القذافي" الحليف الاستراتيجي لإدريس دبي، جرت الانتخابات الرئاسية في ٢٥ من إبريل/نيسان ٢٠١١ بعد تأجيلها لثلاثة أسابيع، والافتتحت هذا أن ثلاثة من أهم زعماء المعارضة؛ وهم: "عبد القادر دو كاموغي"، و"تجاريجي بورونجار"، و"صالح كزايو"، أعلنوا انسحابهم من سباق الرئاسة؛ بسبب ما وصفوه بـ "المسرحية السياسية"، وحتوا المواطنين على مقاطعة الانتخابات (٣)، وكما توقع المرء أن فوز دبي من الجولة الأولى بنسبة كبيرة يثبت (٦٦% وسط نسبة إقبال متدنية من المقتدر عين الولاية الرئاسية الخامسة: بعد إعلان ديوان الرئاسة التشادية لولاية إدريس دبي للترشح لولاية رئاسية خامسة هذا العام (٢٠١٥)، رأى المرء أنها خطوة محفوفة بالمخاطر. والتحديات في توقيت بالغ الدقة في منطقة الساحل الإفريقي وفي الداخل التشادي، خطوة سيواجه فيها دبي تحديات كبرى قد تتجاوز ما عرّف عنه من حكمة ودهاء في التعاطي مع المستجدات والمخاطر؛ لعل أبرزها:

المعارضة التنشادية السياسية والعسكرية في الداخل والخارج؛ التي تجتمع لأول مرة على رفض إدريس دبي لولاية رئاسية خامسة. العلاقة الفاترة مع فرنسا؛ التي حاصرت القصر الرئاسي بنجامينا سنة ٢٠٠٨ التحدي التنموي الذي ازداد سوءاً بعد اكتشاف النفط والبدء في تصديره منذ ٢٠٠٣، وتزايد معدلات البطالة، واستنزاف الفساد والمحسوبية. العلاقة المتوترة والمخالفة مع الجارتين ليبيا والسودان. الدور التشادي في الحرب على الإرهاب. النموذج البوركينابي وهاجس الربيع الإفريقي.

العلاقات الفاترة مع فرنسا

ظلت تشاد جزءاً أصيلاً ومهماً في الإستراتيجية الدفاعية والعسكرية الفرنسية في وسط القارة الإفريقية منذ الاستقلال وحتى وصول الرئيس فرانسوا هولاند إلى قصر الإليزيه؛ لذي أحدث تغييرات جوهرية عويصة بخصوص علاقات فرنسا بالأنظمة الإفريقية؛ التي لا تزال ثقة شعوبها؛ (إن قادة الإدارة الاستراكية الجديدة يسمو أنهم قرروا المقاطعة السياسية، وهك الارتباط السياسي مع بعض رؤساء لدول الإفريقية؛ الذين أصبحوا علة على السياسة الفرنسية في إفريقيا؛ لا سيما مع قادة أنظمة دول إفريقيا لا تتوافق لديها أدنى شروط الحكم الرشيد والديمقراطية والعدالة واحترام حقوق الإنسان في بلادها، وفي خلال حملته الانتخابية تعهد هولاند بعدم التعامل مع أنظمة دكتاتورية لا تحترم شعوبها، ولا تتسرع في إصلاحات واضحة على الأرض، وقرر أيضاً صراحة أنه سيقاطع البرنامج الفرنسي القديم بسبب سيئ السمعة: (FranceAfric)، ويعتبر هذا البرنامج جزءاً من شبكة كبيرة وقديمة ومعقدة تضم أفارقة وفرنسيين من الساسة والمثقفين ورجال الأعمال والاستخبارات والعسكريين؛ الذين يقومون بوضع خطوط مستقبل أي حاكم إفريقي وتحديد علاقته مع باريس، وهي تتحكم في مصير حكام القارة الإفريقية؛ الذين تدعمهم فرنسا في المجال

السياسي والمالي، وتثبيت أركان الحكم في بلادهم... (٤)؛ إلغاء الإيزيه لزيارة التهنتة التي كان يعترزم الرئيس إدريس دبي القيام بها إلى باريس مطلع عام ٢٠١٣ تهنتة الرئيس الجديد، والرفض غير مرة لتلك الزيارة، التي كان يعول عليها دبي كثيراً؛ جعل العلاقة تتدهور بين باريس ونجامينا مع حرص الطرفين على الإبقاء على خيوط من بقايا علاقة فاترة؛ إلا أن الحرب على الإرهاب في شمال مالي - التي قادتها فرنسا سرعان ما أعادت الدفع إلى العلاقة بين باريس ونجامينا؛ حيث شاركت القوات التنشادية بفاعلية في عملية "القط المتوحش - سيرفال"؛ التي قادتها فرنسا.

التحدي التنموي واستنزاف الفساد والمحسوبية من أهم التحديات التي تواجه الرئيس دبي؛ الذي لم يستطع أن يقدم فيها إنجازات مقنعة للتشاد التنشادي أو للمستثمرين الأجانب؛ ولا سيما بعد اكتشاف النفط والبدء في تصديره بكميات تجارية منذ عام ٢٠٠٣، والغريب أن أول مبلغ من عائدات النفط تسلّمته الحكومة في تشاد تم توجيهه لشراء أسلحة بمبلغ ٤,٥ ملايين دولار (٥)؛ وعلى الرغم من امتلاك تشاد لمخزونات كبيرة من الذهب والحديد واليورانيوم والزنك والرصاص، فإن اللافق أن الدولة لم تستفد منها حتى الآن. وما زالت تشاد تحت مرتبة متدنية في مؤشر التنمية البشرية فمن بين ١٧٧ دولة ضمنها المؤشر أنت في المرتبة ١٦٧)، وتعتبر من الدول منخفضة الدخل، وترتفع فيها معدلات البطالة والفقر، وتعاين من تدني الخدمات الصحية والتعليمية، ويعيش حوالي ٨,٤% من السكان تحت خط الفقر!

العلاقة المتوترة مع الجارتين ليبيا والسودان
العلاقة مع ليبيا

نالت تشاد نصيب الأسد من مغامرات القذافي وطموحاته القارية والإقليمية في تادية دور يتجاوز قدرات الدولة الليبية؛ حيث كانت ليبيا منذ عام ١٩٧١ حاضرة بقوة في المشهد العام في تشاد؛ وذلك عبر دعم وتسلح القبائل الشمالية في تشاد؛ التي في معظمها قبائل عربية تشكل امتداداً لقبائل عربية في دول الجوار الجنوبي الشمالي وتحديداً ليبيا، فمن المعروف أن معظم قبائل الجنوب الليبي (زوية - أولاد سليمان - الحسانو - القاذفة - التبو ويبرجة أقل ورقة والمقارحة) هاجروا بشكل جماعي إلى شمال تشاد إبان الغزو الإيطالي لليبيا، واندمجوا هناك مع القبائل التنشادية، وتعايشوا معهم، ورجعت مجموعات كبيرة منهم إلى ليبيا منذ الاستقلال حتى أواسط سبعينات القرن المنصرم، كما أن قبائل التبو توجد أراضيها التاريخية في الشمال الشمالي والجنوب الليبي، ودون الدخول في تفاصيل الحرب الليبية التنشادية، التي باتت معروفة للجميع، فقد حرص القذافي على جعل تشاد جزءاً من مخططاته للتوسيع جنوباً في القارة الإفريقية، وعلمنا مني جيشه بهزيمة نكراء في منتصف ثمانينات القرن المنصرم، وأسرك الكثيرون من الجيش الليبي بمن فيهم قائد تلك الحملة "الفريق خليفة حفتر"؛ الذي يقود حالياً قوات الجيش الوطني الليبي في حربيه ضد ميليشيات أنصار الشرعية في بنغازي؛ فيما يعرف بعملية "الكراامة"؛ إثر تلك الهزيمة للنكراء قرر القذافي تغيير استراتيجيته في التعامل مع تشاد، وتجا إلى قوة المال السياسي عوضاً عن القوة العسكرية، وفي هذا السياق تحقق له النفوذ والامتداد إفريقياً عبر الولاية التنشادية، وباتباع سياسة شراء الدم، ولا سيما بعد أن أوصل إدريس دبي إلى سدة الحكم بمساعدة الجارة السودان.

بعد سقوط نظام القذافي قام حكام ليبيا الجدد (الذين يرون أن إدريس دبي ظل حتى آخر لحظة وفيها للقذافي؛ بل إنهم يشيعون أنه دعمه بمرزقة ومقاتلين تشاديين) بإطلاق